لمحات عن رعاية الأيتـام في مصر إبـان عصر سلاطين الأيوبيين (٥٦٧– ٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م) (*)

د. طارق أبو الوفا محمد

عضو اتحاد المؤرخين العرب

"أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً"(*)

الملخص:

كرم الإسلام "قرآنا وسنة مطهرة شريفة" الإنسان، ومنحه من الحقوق ما لم يمنحه من قبله، وعملاً بمبادئ الإسلام السمحة حرص المجتمع الإسلامي"'سلطة وقيادة" على تكريم الإنسان، وتلبية كافة احتياجاته، والسماح له بالمشاركة الفعالة والبناءة في سبيل بناء المجتمع الإسلامي، ساعد بساعد، يشارك ويتفاعل مع قضايا المجتمع، ويشارك بقدر ما يستطيع وربما فوق ما يستطيع لتقدم نموذجا للإنسان المسلم " المجتمعية الفعالة" الفريدة من نوعها.

الأيتام فئة من فئات المجتمع الإسلامي، واهتمت برعايتهم الدولة الإسلامية، سلطة ورعية حرصا منها علي تلبية احتياجاتهم، وتقديرهم، وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة المجتمعية في سبيل بناء المجتمع، مما ساعد علي أن يبرز منهم أسماء مميزة.

في العصر الأيوبي والذي تلاه المملوكي،، نشط الدور الاجتماعي، بل والإسهامات المجتمعية، وبخاصة في المجتمع القاهري والدمشقي، المصري والشامي بوجه عام، فوجدنا المسلم والمسلمة معلم، وشيخ، ومحدث، وقارئ للقرآن، ومنشئ لدور الأيتام، والمساجد وغيرها.

(*) **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠٢١، العدد التاسع والخمسون.**

حول الأيتام، وأوجه الرعاية الموجهة لهم من قبل الدولة والأفراد عصري الأيوبيين والمماليك، سوف تدور هذه الورقة البحثية، في محاولة لكشف الغموض الذي يكتنف هذه الفترة التاريخية في مصر وبلاد الشام، نظرا لكثرة وتداعي الأحداث السياسية المتلاحقة على مصر وبلاد الشام بوجه عام.

راجياً من الله السداد والتوفيق، وأن يحظى هذا العمل البحثي بالقبول والرضا.

Glimpses of the care of orphans in Egypt and the Levant during the era of the Ayyubid and Mamluk sultans (648-923 AH / 1250-1517 AD)

"I and the one who sponsors an orphan will be in Paradise like this, and he pointed with his index and middle fingers and kept them apart."([1])

Dr. Tariq Abu Al-Wafa Muhammad
Member of the Union of Arab Historians

Abstract:

Islam, "the Qur'an and the purified and honorable Sunnah," honored the human being, and granted him rights that were not granted by him, and in accordance with the tolerant principles of Islam, the Islamic community's "authority and leadership" was keen on honoring the human being, meeting all his needs, and allowing him to participate effectively and constructively in order to build the Islamic society. Help with the help, participate and interact with the issues of the community, and participate as much as he can and perhaps above what he can to present a unique model for the Muslim human being "effective community". Orphans are a category of the Islamic society, and the Islamic state took care of them, as an authority and patron,

([1]) An honorable prophetic hadith, narrated by Sahel bin Saad, narrated by Muslim - Book of Zuhd and Al-Faqqa - Chapter on Charity to the Widow, the Poor and the Orphan, No. (2983).

in order to meet their needs, appreciate them, and provide them with an opportunity for community participation in order to build society, which helped to emerge from them distinguished names.
In the Ayyubid era, which was followed by the Mamluks, the social role became active, and even the societal contributions were active, especially in the Cairene and Damascene, Egyptian and Shami society in general.
About orphans, and the aspects of care directed to them by the state and individuals in the era of the Ayyubids and Mamluks, this research paper will revolve, in an attempt to unravel the ambiguity surrounding this historical period in Egypt and the Levant, given the large number and repercussions of the successive political events on Egypt and the Levant in general.

I hope to God for payment and success, and for this research work to be accepted and satisfied.

المقدمة:

حرص الإسلام" **قرآنا و'سنة**" على بناء المجتمع الإسلامي بناءً صحيحاً متميزاً، لا متمايزاً، وقيامه على مبادئ وأصول ثابتة، وقواعد راسخة، بحيث يأتي التميز في الحقوق والواجبات، ولذا نجده قد كفل الحرية، وأقر المساواة بين أفراده، وتحرى قيام العدل والعدالة الاجتماعية بينهم كذلك، فلا فرق بين أفراده سوى في العمل، ومدى نفع هذا العمل للدين والمجتمع بوجه عام.

وإيماناً من الدولة الإسلامية "سلطة حاكمة وأفراد" بالإسلام ومبادئه سعت عملاً بوصاياه" قرآنا وسنة"، وكان من بين هذه المبادئ رعاية وكفالة اليتيم، الذي حث الإسلام في محكم آياته[١]، وسنته الشريفة المطهرة[٢]، على ضرورة العناية به، وكفالته، وتوجيه بالغ الرعاية والدعم له، سواء أكان هذا الدعم مادي أو معنوي، وعلى مر العصور الإسلامية"منذ عهد النبي الكريم، ومروراً بالخلافة الراشدة، فالدولة الأموية، وانتهاء بالعصر العباسي" أوله وثانيه"، تجد

أمثلة كثيرة وواضحة على اهتمام الدولة " سلطة وأفراداً" باليتيم ورعايته.

في العصر **الأيوبي** "محور الدراسة"، حظيت السلطنة الأيوبية في **مصر والشام** على حد سواء، بمكانة ثقافية مرموقة، وشهدت حالة من الرقي والرواج الثقافي، حيث نضجت العلوم والآداب، وازدهرت المؤسسات الثقافية من جوامع ومساجد، ومدارس، ومكاتب التعليم الأولية– الكتاتيب في مفهومنا الحديث– وبخاصة "مكاتب الأيتام"، في **مصر والشام** على حد سواء، **وفي الشام،** وبخاصة في دمشق لكونها كبرى نيابات الشام، وأجلها، وأرفعها منزلة في زمن سلاطين الأيوبيين(٣)، التي قدر لها أن تلعب دوراً بارزاً في إذكاء الحياة الثقافية من خلال مؤسساتها الثقافية المتعددة سالفة الذكر، فلا جدال في حدوث حالة من الرواج الثقافي والنهضة العلمية في دمشق والشام "بوجه عام" خلال العصر الأيوبي، الأمر الذي جاء نتيجة لدور ومساهمات فعالة من جانب كل مؤسسات ودور العلم، وفي مقدمتها "**المكاتب**" التي جاء تعددها وقيامها لأداء أكثر من وظيفة **علمية،** فهي بمثابة المرحلة **التعليمية الأولى،** والتي يتمكن مَن يتخرج فيها مواصلة دراسته العليا إلى المستوى العلمي الذي يرجوه، **واجتماعية** وأقصد" كدار لإيواء الأطفال اليتامي" تحديداً.

حول هذا الموضوع **الحضاري الحيوي** ستدور هذه الورقة البحثية التي تعد جزءا يسيراً من موضوع "**العلم والتعليم**" في سلطنة دولة الأيوبيين، ذلك الموضوع الحيوي الذي **وللموضوعية** سبق التعرض له من قبل، فقد تناولته مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة والمتأخرة وتحدثت عن العلم و'دوره "مؤسساته" في المجتمع العربي الإسلامي بوجه عام، ومؤخراً تعرض له **قلة** من المؤرخين المحدثين والمعاصرين منذ حوالي نصف قرن، وعرضوا في أبحاثهم ومؤلفاتهم هذه، لأهمية العلم والتعليم، وأهمية إنشاء 'دور العلم المختلفة من جوامع ومساجد ومدارس وغيرها.. و**حرص** سلاطين الدولة على الرواج الثقافي لطرفي السلطنة للمجتمع المصري والشامي على حد سواء رغم ما اكتنف هذا العصر من **جهاد و حروب عسكرية** وصراعات علي سلطة الحكم، ومن بين هذه الدراسات السابقة أذكر في **ترتيب حولي** على النحو التالي:

من **الرسائل العلمية** المنشورة وغير المنشورة التي تعرضت للعلم ودوره، أذكر: د.**عبد الغني عبد العاطي:** التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك – رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، تلك التي نشرت فيما بعد من قبل دار المعارف– القاهرة، ١٩٨٤م؛ **د.عباس حلمي كامل:** المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة– السنة ٣، العدد الثالث، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

في أوائل **التسعينات** من هذا القرن **وفي مصر** أقيمت ندوة بعنوان "**تاريخ المدارس في مصر الإسلامية**" أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وعقدت في الجمعية التاريخية بتاريخ ٢٢–١٩٩١/٤/٢٥م وأعدها للنشر **أ.د عبد العظيم رمضان**– الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م واحتوت الندوة علي عدد من الأبحاث التاريخية المتعلقة **بالعلم ودور العلم** وخاصة المدارس، ومنها: العلم بين المسجد والمدرسة، من إعداد: د.**سعيد عبد الفتاح عاشور**؛ الجامع الأزهر ودوره في نشر الثقافة العربية الإسلامية ، من إعداد: **أ. د.سيدة إسماعيل** كاسف؛ عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية، إعداد: **د.حسني محمد نويصر**؛ المدارس في العصر الأيوبي، إعداد: **د.عفاف سيد محمد صبره**؛ المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، إعداد: د. أيمن فؤاد سيد، **كذلك،،، من الرسائل العلمية: نصر جمعه محمد نصر:** الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، **وأخيرا: محمد إبراهيم الدواودي:** تمويل المدارس في العصر الأيوبي مجلة كلية التربية بورسعيد العدد ٧ يناير ٢٠١٠م.

وبعد،،، تناولت **الدراسات السابقة** من مصادر ومراجع العلم وما كان له من منشآت علمية، وعرضت لها بوجه عام دون تحديد الإشارة إلي فئة الأيتام وما خصص لهم من دور علم، وجهود الدولة خلال العصرين نحو رعايتهم وغير ذلك، وبالبحث وجدت عن الأيتام ورعايتهم عمل علمي واحد هو: " رعاية

الأيتام حتى نهاية العصر الأموي١٣٢هـ/٧٥٠م ودورهم السياسي والحضاري"، مجلة قطاع الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر، مجلة علي الانترنت، المقالة ٦، المجلد ٢٤، العدد ١، ٢٠١٩م.

نظراً لأهمية الموضوع سعيت من خلال هذه الورقة البحثية لاستكمال ما بدأه الزميل الفاضل وفي عصر لاحق لما تناوله، وهو عصر الأيوبيين والمماليك وفيهما أكد المؤرخون المعاصرون للدولتين آنذاك على اهتمام السلاطين على تشجيع العلم والعلماء وطلاب العلم وخاصة الأيتام منهم بإنشاء دور العلم لهم ورعايتهم وإتاحة الفرصة لمشاركتهم في خدمة المجتمع.

حول أوضاع الأيتام في مصر والشام في "القاهرة ودمشق" "الأيوبية المملوكية"، وأوجه رعاية وعناية الدولةً بطبقاتها المختلفة " سلاطين وأفراد" بهم، ودور هذه المكاتب كواحدة من المؤسسات التعليمية والاجتماعية في الرواج الثقافي والعلمي للقاهرة ودمشق، سوف تدور هذه الورقة البحثية من خلال عدة نقاط **رئيسة هـــي:**

– رعاية الأيتام لغةً واصطلاحاً.

*– أوجه رعاية الدولة(سلطة وأفراد) بالأيتام في مصر والشام:

أ– الدعم المالي والوقف الخيري" لمحة موجزة ".

ب– مكاتب الأيتام، **من خلال:**

- المكان وموضع البناء.
- سن الدخول إلى المكتب.
- نظام العمل داخل مكاتب الأيتام، من حيث:

أ– أوضاع واحتياجات "الأيتام".

ج– ضوابط العمل في مكاتب الأيتام.

د– الرقابة على المكاتب "عامة" ومكاتب الأيتام "خاصة".

*– دور مكاتب الأيتام في الإسهام الثقافي في مصر.

*– ثبت مكاتب الأيتام في مصر في عصر الأيوبيين.

وبعد،،

أجمل في الخاتمة، أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة البحثية.

وأخيراً، أرجو من الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وذا فائدة للقارئ، والحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة.

والله من وراء القصد ،،،،

- **رعايــة الأيتام لغة واصطلاحاً :**

رعاية أو عناية في اللغة، من الفعل رعي أو عنى، ويقال: ‘عنى بالأمر عَنيا وعِناية، بمعنى اهتم وشغل به، فهو معنى به[٤]، والمقصود باللفظ من حيث الاصطلاح في دراستنا البحثية هذه: الكفالة بمعنى أوجه القيام بأمر اليتيم، ومصالحه، وتربيته والإحسان إليه.

والأيتــام، لفظ جمع مفرده: اليتيم، وهم طائفة من الضعفاء في المجتمع، وتزداد أعدادهم كلما توالت الحروب والنكبات على الأمة، أما في **اصطلاح** الفقهاء فهو من مات أبوه وهو غير بالغ، فإذا بلغ زال عنه اليتم، لما ورد عن علي(ﷺ) قال: حفظت عن رسول الله (ﷺ) "لا ‘يتم بعد احتلام".[٥]

بينما يري الإمام الشافعي(ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)[٦] أن اليتم أمر آخر، فيقول : ليس اليتيم يتيم الأم والأب ولكن اليتيم يتيم العلم والأدب[٧]، فقد كان يقول : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وفي هذا دلالة علي أن اليتيم الذي يهتم بالعلم ويحصله يصبح له عوضا عن والديه وسنداً في الحياة.

- **أوجه رعاية الدولة(سلطة وأفراد) بالأيتام في مصر الأيوبية:**

أ- السلطة ورعاية الأيتام في مصر عصر الأيوبيين:

اعتني الإسلام بالأيتام وتكريمهم حيث ذكر في آيات كثيرة تحض على ذلك وأهمها سورة الضحى، حيث يشير الله إلي رسوله (ﷺ) بقوله: فأما اليتيم فلا تقهر، فيكفي الأيتام شرفاً وفخراً أن رسول الله (ﷺ) ولد ونشأ يتيماً.

حينما أتحدث عن مصر الإسلامية ومكانة الأيتام فيها أجد هذا

العصر" الأيوبي" ، وهو محور هذه الورقة البحثية، أجده يتميز بسمات مميزة، فالعصر الأيوبي امتاز بأنه عصر جهاد وكثر فيه الاستشهاد، وترملت النساء وكثر فيه تيتم الأولاد، فهذا هو **صلاح الدين الأيوبي** الذي **قـاد** راية الجهاد ضد الصليبيين وقام بثلاث خطوات رئيسة: الأولى: توحيد الجبهة الداخلية حيث قضى على الثورات الداخلية مـن أمثال: ثورة الجند السودان[٨]؛ وعدد من المؤامرات السياسية فردية وجماعية، ومنها: مؤامرة مؤتمن الخلافة[٩] والمؤامرة الكبري بزعامة عمارة اليمني[١٠]؛ والثانية: توحيد الجبهة الخارجية أو ما عرف باسم تكوين الجبهة الإسلامية الموحدة بين مصر والشام والعراق، وأخيراً: الثالثة في تفرغه للقاء الصليبيين، وفي حطين كان اللقاء الحاسم بينهما، ومن أهم نتائجه استرداد بيت المقدس، وتحرير القدس الشريف، وذكر له بعض المؤرخون بعض الجهد في الاهتمام بالعلم وطلابه؛ فقد ذكر البعض[١١] فيما يخص رعايته للأيتام وقيل: لقد كان صلاح الدين الأيوبي أول من أوقف الأوقاف في العصر الأيوبي من أجل الأطفال الفقراء والأيتام، فأوقف قرية **نستروا**[١٢]، كما أوقف قطعة أرض على صبي صغير وجد فيه نبوغاً وتميزاً، كما أنشأ **القاضي الفاضل** مكتبًا لتعليم الأيتام بجوار مدرسته سنة ٥٨٠هـ.

أما العادل الأيوبي،،، فكان عهده في مهادنات وتفرغ لبناء المدارس أو النواحي الاجتماعية إلا أنه مات حزناً وكمداً على سقوط دمياط في أيدي الصليبيين؛ ثم جاء **الكامل بن** العادل الأيوبي، وأنشأ كتّاب سبيل إلى جوار رباطه[١٣]، وفي عهده استرد الصليبيين بيت المقدس بالتفاوض دون الحرب؛ وتلك كانت كارثة العالم الإسلامي آنذاك، وأما **الصالح نجم الدين أيوب** فقد انتهت حياته أواخر الدولة الأيوبية النى سرعان ما انهارت لتقوم دولة سلاطين المماليك.

لكل ما سبق جاء هذا البحث في صورة لمحات عن تلك الفئة المميزة التي تتأرجح كفتها بين الاعتناء بها في حالة الرخاء، والإقلال في الاعتناء بها في حالة الحرب وانشغال السلاطين بالصراع على السلطة فيما بينهم، ولذلك آثرت على نفسي تتبع هذا الموضوع رغم ندرة مصادره من أجل إبراز هذا الدور

الحضاري من جوانب حضارتنا الإسلامية التي كانت وما زالت وستظل درة في جبين الدهر بين سائر حضارات الأمم.

ب- " الأفـراد" ورعاية الأيتام عصر الأيوبيين:

درج سلاطين بني أيوب "بوجه عام" على نهج أسلافهم في العمل على تعزيز المظاهر الإسلامية، رغم غلبة الطابع العسكري علي الدولة، لكثرة انشغال السلاطين بالجهاد ضد الصليبيين، وكثرة قيام الحروب، إلا أنهم كلما سنحت الفرصة وأتيح الوقت لتوجيه عنايتهم بالجانب الثقافي، فأكثروا من بناء المنشآت الدينية، والعلمية وبخاصة: الجوامع والمدارس، وغيرها من دور العلم وخاصة الدور الأولية منها "المكاتب"(١٤)، حيث شجعوا على إقامتها، وخصصوا لها الأوقاف الكبيرة، وذلك كي يوفروا لسلطتهم الشرعية الدينية التي كانوا يحتاجون إليها، وبمرور الوقت أصبح بناء مثل هذه المؤسسات من الدور الدينية والعلمية والاجتماعية أيضاَ، ورصد الأوقاف لها ليس من عمل سلاطين الأيوبيين والمماليك وأمرائهم فحسب، وإنما عمل جليل يقوم به كل" قادر على البذل والعطاء، طلبا للفوز بالدنيا والآخرة"(١٥)، وبناءً عليه أتى هذا العمل من جانب سلاطين الأيوبيين والمماليك بنتيجة إيجابية للشعب المحكوم، وشجع على كثرة القيام بأوجه البر والخير وتوجيه العناية لمن هم في حاجة إليها، كما دلل على اهتمام السلاطين بفئة الأيتام، وغيرهم حتى لو كان الهدف المباشر عائد عليهم" كسلاطين"، وعلى مصالحهم الشخصية.

حباً في فعل الخير، واقتداءً بالسلاطين اتخذ الأفراد "**أعيان المجتمع** "منهم خاصة، أوجه عدة في مجال العناية بالأيتام في مصر والشام "خاصة" وأكثر من وسيلة، ومنها: الدعم المالي، وتمثل في: **الأوقاف الخيرية** التي مثلت- دون مبالغة- أهم موارد التعليم في المكاتب بصفة خاصة، وأكثرها دخلا وإدرارا.(١٦)

نظراً، لانتشار الحلقات العلمية كثر إيقاف أهل البر والخير من"أعيان المجتمع"، وتنوعت **أوقافهم** ما بين **خمس صور:**

أ- أوقاف مشروط صرفها نقوداً.

ب- أوقاف مشروط صرفها خبزاً.

ج- أوقاف مشمولة بنظر شيخ المسجد[١٧].

د- أوقاف يصرف منها على المعلمين الذين يستقبلون الطلاب الأيتام والفقراء أيام عطلتهم الأسبوعية، فيراجعون معهم دروسهم التي تلقوها خلال الأسبوع، ويمنحونهم حسب نشاطهم مصروفا للجيب في محاولة لتعويض دور الآباء في الدفع بأبنائهم إلي اكتساب المعرفة[١٨].

هـ- وقف أطياناً زراعية أو بستاناً أو ربما قرية صغيرة[١٩] أو مصادر دخل لا تنقطع.

جدير بالذكر،،، أن هذه **النفقات** تتعلق بعدة أوجه للصرف **محددة، منها:**

صيانة المباني، وتنمية المجموعات، وإمداد القراء"الطلاب " **بالقرطاسية** والماء، وكذلك بمرتبات العاملين، وأخيرا كانت إدارة هذه الأوقاف بيد **ناظر**[٢٠] عام مسئول عن قضايا الميزانية هذه، وتوزيع بنودها، وقد حفلت الوقفيات الخاصة بالجوامع بتحديد مرتبات العاملين بها.[٢١]

هكذا،، سعى "**أعيان المجتمع**" في مصر والشام إلى العناية بالأيتام، وحرصوا علي توجيه بالغ الاهتمام بهم ولهم، سواء كانت هذه العناية بالدعم المالي، والذي جاء في صورة الوقف، وإنشاء أو بناء المؤسسات الاجتماعية والعلمية القائمة والمخصصة لرعايتهم، من أجل تنشئة وتربية صحيحة، وأقصد: "المكاتب"، وفيما بينهم، تنافس الواقفون على تقديم أفضل العطاءات للأيتام ومن تولوا مهمة التدريس لهم إيماناً منهم أن مكانة المؤسسة الثقافية مرتبطة بكفاءة المدرسين وتميزهم، ولذلك اشترطوا صفات خاصة عديدة يجب أن تتوافر في المعلم، هي:

- أن يكون **من أهل العلم** والصلاح.
- **ضالعاً** في مذهبه.
- **سليم** الاعتقاد.
- **حافظاً** لنقول العلماء وأقاويلهم.

- **'ملماً** باختلاف المذاهب الدينية.
- **حسن** الهيئة.
- **أهلاً** للتدريس والفتوى[٢٢].
- الأكثر من ذلك **اشترطوا** على هؤلاء المعلمين أن يكونوا هم والطلاب بالمكتب من أصحاب مذاهب معينة[٢٣] بحيث لا يجتمع مذهبين في مكتب واحد.

أما الــرواتب: فوجدت أمام هذه الشروط السابق ذكرها خصص الواقفون لمعلمي هذه المكاتب رواتب شهرية اختلفت قيمتها من مكتب لآخر حسب شروط الواقف، وريع الوقف، فقد 'صرف لمعلم الكتاب في إحدى المكاتب ستون درهما شهريا[٢٤]، وفي مكتب آخر بلغ مرتبه ثلاثمائة درهم شهريا[٢٥]، وفي مكتب ثالث صرف له أربعمائة درهم شهرياً بالإضافة إلي ثلاثة أرطال من الخبز يومياً[٢٦]، **وأخيراً،،** قام **الواقفون** بتمويل المتطلبات الأخرى لهذه المكاتب كصرف إعانات للطلاب، والمشرفين على تلك المؤسسات.[٢٧]

أما ما يخص أبناء المكاتب الطلاب"الأيتام" أقصد، وشروط الوقف الخاصة بهم في المكتب، وجدنا أن الواقفين من الأعيان ، وأولوهم غاية الاهتمام والرعاية في عدة جوانب، حيث حرص البعض من الواقفين على وضع شروط خاصة في طلاب المكتب، ومنها: – الاستعداد لطلب العلم، صالحين للفهم، وأن يكونوا من أصحاب الفطنة والذكاء والأهلية.

كذلك،، وفيما يخص **الملتحقين بالمكتب،،** وجدنا من الواقفين من حدد سن الالتحاق بالمكتب، كشرط لازم للدخول إلي المكتب، مثله في ذلك مثل المدرسة، كما دأب معظم الواقفين على تحديد أعداد الطلاب المقيمين في المكاتب بحسب ما تستلزمه ظروف المكتب، ولذلك وجدنا تبايناً واضحا في أعداد الطلاب من مكتب إلي آخر[٢٨]، ففي واحد بلغ عدد الطلاب المقيمون خمسة، وفي ثاني بلغ عددهم عشرة، وهكذا.[٢٩]

ختاماً،، وجب الإشارة إلي أن ضآلة تكلفة إنشاء المكاتب، وبساطة محتوياته تدعو إلي الاعتقاد بوجود أعداد كبيرة من المكاتب منتشرة في أرجاء

القاهرة في عصر زاد فيه إقبال العلماء ومحبي العلم على نشر المعرفة.[٣٠]

كذلك،، وضعت الدولة "السلطة الحاكمة" سلطاتها القضائية والتنفيذية في رعاية هذه المنشآت من خلال ديوان عام من أهم دواوينها، وهو المسمى بديوان الأوقاف المختص بشئونها ورعاية مصالحها، فاستمرت في أداء وظيفتها وشاركت مشاركة فعالة في بناء المجتمع وحضارته.[٣١]

(ب) – بناء مكاتب الأيتام :

مثل قيام المكتب الإسلامي، الوسيلة الثانية من أوجه عناية وكفالة "الدولة سلطة وأفراد" لليتيم في القاهرة، إن لم يكن أبرزها، وأكثرها انتشاراً في مصر بوجه عام، فقد تعددت مكاتب الأيتام وانتشرت، وقلما خلا حي أو زقاق من أزقة القاهرة من وجودُ كتاب أو أكثر، مثله مثل باقي المؤسسات الثقافية في القاهرة في العصر الأيوبي من مساجد وجوامع ومدارس ومكتبات وخوانق وربط وزوايا، حيث كان لكل منها دوره الثقافي الخاص المميز.

أ– مـوضع بناء المكتب:

لقد حذر البعض من العلماء من إنشاء المكاتب في المساجد في أول الأمر، بغية تنزيهها عن الصبيان والمجانين" لأنهم يسودون حيطانها، وينجسون أرضها إذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات"، ولذا رغب هذا البعض في إنشائها على صورة حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق".[٣٢]

تمشيا مع هذا المبدأ وجدنا أن معظم المكاتب ومكاتب الأيتام خاصة قد أنشئت بالقرب من الجوامع والمدارس والربط والخوانق[٣٣]، كما ذكر المقريزي – عمدة مؤرخي العصر المملوكي– في سفره المواعظ والاعتبار[٣٤]، وتجرى لهم **الجرايات** من الطعام بمقادير كبيرة، وفيما بعد تحول البناء نحو الجامع ذاته، والمدرسة وغيرها من مؤسسات ودور العلم.[٣٥]

(ج)– سن الدخول للمكتب:

سعيت بالبحث والفحص الدقيق في المصادر المعاصرة لفترة الدراسة هذه، فوجدها لم تحدد صراحة سن الدخول أو الالتحاق بالمكتب، ولم أجد سوى إشارة واحدة السخاوي[٣٦] مؤداها أن شيخه ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ

/١٤٤٨م)[٣٧] لم يدخل المكتب إلا بعد أن استكمل خمس سنين[٣٨]، بينما تشير حجة الغوري[٣٩] صراحة إلي الحد الأعلى للبقاء في مكاتب الأيتام إذ تقول: أما من يظل بالمكتب حتى البلوغ دون أن يحفظ القرآن، فكان يصرف ليحل محله أحد صغار الأيتام".

(د)- نظام العمل داخل مكاتب الأيتام، من حيث:

أ- أوضاع الأيتام واحتياجاتهم:

حرص منشئو المكاتب عند بناء هذه المكاتب على توفير جميع احتياجات الطلاب المقيمين فيها لضمان الانقطاع للعبادة وطلب العلم، فقط كانوا يقيمون في غرف مخصصة لهم، وبذلك قدم المكتب نموذجاً للدار الاجتماعية، ويلحق بهذه الغرف بيت للخلاء، كما يلحق بها "في معظم الأحيان" مطبخ لإعداد الطعام للطلاب وغيرهم ممن يقيمون بالمكتب.[٤٠]

تمتع الطلاب كذلك، ببعض المزايا الأخرى حيث يمنح كل طالب في الشهر راتباً معلوماً يعينه على شراء حوائجه، وسد عوزه، وإن اختلفت قيمة هذه الإعانة من مكتب لآخر حسب شروط الواقف وريع الوقف، فعلي سبيل المثال في دمشق الشام، في نفس الفترة المعاصرة لورقتنا البحثية صرف لطلاب دار القران الأسعردية ثلاثون درهما في الشهر[٤١]، بينما صرف لطلاب مكتب دار القران **الدلامية** عشرة دراهم في الشهر.[٤٢]

كذلك، **قام الأعيان** بصرف ثمن ما يحتاج إليه طلاب المكاتب من أقلام ومداد وألواح ودوي، وغير ذلك من الأدوات والمستلزمات المكتبية، فضلا عن صرف كسوتين لمعلمي الكتاب والطلاب لفصلي الصيف والشتاء[٤٣]، كما كان للطلاب أجازة أسبوعية، فضلا عن أيام الأعياد والمواسم الأخرى.[٤٤]

وبوجه عام،، كان يصرف للمعلم والطالب على حد سواء، منح غذائية في المناسبات والمواسم مثال ذلك: زبيب وتمر كل يوم جمعه، وحلوى في ليلة النصف من شعبان، وكنافة ليلة العشر الأولى أو ليلة النصف من رمضان، ومشبك بعسل في ليلة العشرين أو ليلة سبع وعشرين من رمضان، وأضحية عيد الأضحى، والقمصان والسراويل والبشوت[٤٥] في كل سنة، وزبيب في السنة

مرة، وكذا الصابون والكعك.[٤٦]

كذلك،،، التزم الأعيان من أصحاب المكاتب بتوفير الرعاية الصحية للأيتام، فكان الطبيب يزور المكتب في كل شهر عند تنزيل الأيتام [٤٧]، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على شدة حرص الأعيان على تقديم كافة الخدمات وأوجه الرعاية الكاملة لطلاب مكاتبهم من الأيتام.

أما **العاملون** في داخل المكتب أو الـ'كتاب: فمن خلال شروط الوقف المختلفة، نستدل على فئات المتواجدون والعاملون في مكتب الأيتام، فنجدهم: الإمام، والقيم"البواب والمؤذن"، الفقراء" الذين تراوح عددهم في المكتب الواحد ما بين ٦-١٠طلاب"، الشيخ، القارئ للقرآن، العامل لنظافة المكتب.

والمسئول عن التدريس في مكاتب الأيتام، هيئة تدريس مؤلفة من فئات ثلاث رئيسة هي: الشيخ والمدرس والمعيد[٤٨]، ويتم تصنيف رتبهم العلمية على أساس العلم والكفاية، وفيما يخص المكتب" تحديداً"، كانت الهيئة على **النحو التالي:**

أ- **المعلم والمؤدب:**

هو أول من يتصدى للتعليم "معلم الكتاب"(بضم الكاف) أو معلم الصبيان، ويسمى أيضا بالمؤدب لأنه مسئول على أن ينتقل بالطالب من مستوى تلميذ الكتاب إلي مستوى الطالب في حلقات المساجد الجامعة[٤٩]، وأحيانا الفقيه، وهو يقوم بتعليم الأطفال الصغار العلوم الأساسية[٥٠]، كما يشرف على تربيتهم وتوجيههم وتأهيلهم إلي مرحلة أخرى من التعليم[٥١]، بحيث ينصرف معظم الصبية بعد ذلك إلي اكتساب صنعة أو حرفة معينة.[٥٢]

وهو بذلك تقع على عاتقه مهمة شاقة فهو المعلم الأول، وهو الذي يماثل معلم المرحلة الابتدائية في عصرنا الحديث، الذي يغرس في التلاميذ المفاهيم والأسس التعليمية الأولى التي تمكنهم فيما بعد السير قدما في تحصيل شتى ألوان المعرفة.

وقد اشترط فيه أن يكون صالحاً عفيفاً أميناً على أطفال المسلمين، حافظاً للقرآن الكريم، حسن الخط، عارفا بالحساب، وأن يكون متزوجا بحيث لا يسمح

لعازب أن يفتح مكتباً لتعليم الأطفال إلا أن يكون شيخاً كبيراً اشتهر بالدين والورع وفق تزكية مرضية[٥٣]، وفاضل الأخلاق، أديب النفس، نقي الجيب، عاملاً بأخلاق الملوك وآدابهم.[٥٤]

وأخيراً،، بوجه عام، عن أجر المؤدب، وجدناه قد يكون بسيطاً إذا كان يقوم بالتدريس لأولاد العامة، ولكنها ترتفع فيما إذا ارتفعت منزلة المؤدب، وأخذ يدرس لأبناء السلاطين أو الطبقة الثرية.[٥٥]

ب- العريف:

هو من يقوم مقام معلم الكتاب أثناء غيبته، فيحفظ النظام، ويعلم المتخلفين من الصغار الذين يعرضون عليه ألواحهم، ويستمع إلي قراءاتهم لتوضيح ما غمض عليهم من معلومات ألقاها المعلم بغية إدراك أترابهم من أولاد المكتب.[٥٦]

وهو من جملة أبناء المكتب بل من أنبغهم، ويشترط فيه من الشروط ما يقرب من تلك الشروط الواجب توافرها في معلم الكتاب، ويستمر في وظيفته حتى ولو كان بالغا.[٥٧]

ج- المعيد:

هو الذي يقوم بإعادة الدرس على الطلبة بعد أن ينتهي المدرس من إلقائه وانصرافه حتى يفهمونه ويحسنونه[٥٨]، ثم أن المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة.[٥٩]

وختاما،،، تكونت إدارة المكتب من ناظر الوقف، وهو بمثابة المدير المالي والإداري لوقف المكتب، أما المسئول المباشر عن المكتب أمام الناظر فهو المعلم.[٦٠]

(هـ) مواعيد العمل:

بداية،، أستطيع أن أقول أنه لم يكن ثمة تحديد لأوقات الدراسة، غير أنه كان يبدأ في الصباح، وينتهي في المساء، وإن حدد البعض من المنشئون من الأعيان مواعيد الدراسة في المكاتب بصورة دقيقة، حيث نصت الوثائق على

أن المؤدب يجلس بالمكتب كل يوم من أيام الأسبوع، خلا يوم الجمعة وأيام المواسم والأعياد التي جرت العادة بالبطالة فيها، ويمكث بالمكتب لتعليم الأيتام وتأديبهم من أول النهار إلي وقت العصر سوى يوم الثلاثاء ويوم الخميس فيمكث إلي وقت الظهر(٦١)، ونصت وثيقة أخرى على جعل الدراسة إلي نصف النهار يوم الخميس فقط، وباقي الأيام من طلوع الشمس إلي وقت العصر(٦٢)، ونصت بعض الوثائق الأخرى على ترك أيام العطلة للعرف الجاري في المكتب(٦٣).

غير أن **قاضي القضاة** بدر الدين ابن جماعة تحدث عن ضوابط صارمة لمواقيت الدراسة منبهاً المدرس أن عليه في تحديد مواعيد دروسه مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه فيه ضرورة ولا مزيد كلفة(٦٤)، فإذا ما ذكر درسه قبل طلوع الشمس أو أخره إلي ما بعد الظهر فانه لا يستحق معلوم التدريس ما لم يقض بذلك شرط الواقف.

أما عن يوم التدريس،،، فنجده كان 'يفتتح الدرس بالبسملة، ويختتم بتلاوة سورة الفاتحة، بعد ذكر عبارة والله أعلم، أو أي عبارة تلمح إلي ختم الدرس، كعبارة: "وهذا آخره"، أو عبارة: وما بعده يأتي إن شاء الله تعالى ونحو ذلك(٦٥)، وبناء على ذلك،، كان المدرس حراً في اختيار مواعيد دروسه اليومية أو الأسبوعية، ومع ذلك جرى العرف أن يكون التدريس بعد الصلاة على أن يحق للمتعلم أن يختار الحصة التي تتناسب وظروفه، وهو أمر مناسب أكثر في مرحلة المدرسة والتعليم العالي.

وعن أيام العطلات في المكاتب، نجدها قد عرفت أيام العطل في الأسبوع، وهناك يومان للعطل في الأسبوع محددان بيوم الجمعة والثلاثاء، كما هو الحال في المدارس، مثلا: "أن تتوقف المدرسة عن العمل يوم الجمعة فقط".(٦٦)

أما عن العطلة السنوية،، فقد جرت العادة أن تكون خلال شهري شعبان ورمضان وعشرة أيام من شهري شوال وذي الحجة بالإضافة إلي أيام الأعياد "الفطر والأضحى"، ويومي التاسع والعاشر من شهر المحرم المعروف باسم "عاشوراء".(٦٧)

(و)- قـواعد وضوابط العمل داخل المكتب:

عن قواعد العمل في المكتب فيما يخص المعلمون، وضع **مربو** عصر الأيوبيين قواعد مثلى لمعلمي تلك المكاتب للسير وفقاً لها، ومنها:

- حفظ مال الطالب، فقد شنع الإمام ابن العماد على فقهاء الأولاد بأخذهم لخبزهم ونحوه، ثم بين أنه لا يجوز للمعلم أن يأخذ شيئا مما جاء به الولد، إلا أن شبع عنه لأن العرف المطرد أن الولد يرضى حينئذ بأخذ الفقيه لذلك الفاضل.(٦٨)
- **حفظ كرامة** الطالب إذ لا ينبغي للمؤدب أن يستخدم أحد الصبيان في حوائجه وإشغاله التي فيها عار على آبائهم، كنقل التراب والزبل، وحمل الحجارة وغير ذلك.(٦٩)
- **تقويم** سلوك الطلبة، حيث يجوز للمعلم أن يضرب الأولاد الصغار على إساءة الأدب والفحش من الكلام، وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع(٧٠)، ويلزمه أن يكون بحسب ما يراه كافيا بالنسبة لجريمة الولد، فلا يجوز له أن يرقى إلي مرتبة وهو يرى ما دونها كافياً(٧١)، وأن يظنه زاجراً له من غير ضرب مبرح(٧٢)، فلا ينبغي أن يضرب صبياً بعصا غليظة تكسر العظم، ولا رقيقة تؤلم الجسد، بل تكون وسطاً، ويتخذ مجلداً عريض السير، ويعتمد في ضربه على الأفخاذ وأسافل الرجلين لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة.(٧٣)
- **ينبغي** للمعلم أن يراقب سلوك طلابه خارج المكتب، ويحذرهم من الإتيان بالأفعال المشينة كاللعب بالقمار والسرقة وحفظ الأشعار المبتذلة ويضربهم عليها(٧٤)، وهم في ذلك كطلاب المدرسة، ولضمان حسن سير مهام المكتب، كان لابد من المتابعة والمراقبة.

(*)- الرقابة على المكاتب "عامة" ومكاتب الأيتام "خاصة":

ارتبطت علاقة الدولة الإسلامية "الأيوبية" بالتعليم باعتبار أن الإسلام دين دولة، فلم يكن التعليم مقيداً بقوانين تفرضها الدولة، وإنما كان حراً حيث لا قيود

عليه، غير القيود التي يقررها ويفرضها العرف والعادة.[٧٥]

ولذا،، فقد أشرفت الدولة على المكاتب عن طريق **المحتسب**[٧٦] إلا أنها لم تتدخل في إنشائها، وبالتالي فهي "المكاتب" دور خاصة تعود لأصحابها ومنشئوها، والرقابة هنا لدين المربي المعلم و ُخلقه، ولذا كان الناس يتخيرون المعلمين أو المكاتب التي تحقق طموحاتهم في تعليم أولادهم وتربيتهم.[٧٧]

كذلك،، لم تكن هناك أية رقابة على المعلمين أو الطلاب من جهة الحكومة سوى ما يدخل في وظائف الحسبة حيث كانت أهم اختصاصات المحتسب رعاية التربية، وجعلها تسير في اطار الشريعة الإسلامية، ووفق الأخلاق الفاضلة، والذوق السليم، حيث يزور المحتسب دور العلم، ومنها: المكاتب أو الكتاتيب بين الحين والآخر ليتأكد من سلامة المباني، ومراعاة قواعد الشريعة الإسلامية في تعليم الصبيان، والضرب على أيدي المعلمين في الكتاتيب وغيرها المبالغين في ضربهم للطلاب، ومنع أدعياء العلم من التصدي لتعليم الناس أو علاجهم، أو الفتوى لهم في الأحكام، أو الجلوس للفصل في قضاياهم، وأخيراً ربما الأمر بإصلاح مباني معاهد التعليم المتداعية.[٧٨]

وهكذا،، اكتفت الحكومة بالرقابة على دور العلم من خلال مسئوليات المحتسب، فالجامع والمكتب تابع للحاكم السلطان، ولكنه مسئول عن المبنى، ورقابته من خلال المحتسب فقط.[٧٩]

وختاماً،، لم يترك الأمر دونما ضابط، بل تصدى المحتسب لأولئك الذين يتصدون للتدريس وهم غير أهل له" فلا يمكن لأحد يتصدي لهذا الفن، إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة، وأن يكون من العلماء"[٨٠]، إلا أن الأمر لم يخل من وجود بعض الذين كانوا يتطفلون على مهنة التدريس، وهم ليسوا أهلا لها، ومصداق ذلك قول السبكي:" إنه من أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب، ويجلس يلقيها ثم ينهض، فهذا إن كان إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس، ولا يحل له تناول معلومه".[٨١]

- دور مكاتب الأيتام في الإسهام الثقافي في السلطنة الأيوبية:

بادي ذي بدء،، تميز العصر الأيوبي بمكانة ثقافية مرموقة، فقد اتفق

معظم المؤرخين على أن العصر جزءاً من العصر العباسي، حيث نضجت فيهما العلوم والآداب، وكانت الحركة الثقافية امتداداً للعصر العباسي الزاهر، وما وجدناه أن سلاطين بني أيوب عندما وصلوا إلي السلطة، وذلك بعد سقوط حكم وسلطان الفاطميين، كانت المؤسسات الثقافية، كالجوامع والمساجد والمكاتب والمدارس، والمكاتب "**الكتاتيب**" لا شك قائمة في مصر والشام على حد سواء، ومعنى ذلك أن **بني أيوب** لم يبنوا صرحهم الثقافي من فراغ، فأسس هذا الصرح كانت قائمة بالفعل، مما يسر لهم أن يقيموا نهضتهم على أساس راسخ متين، فأكملوا، وبنوا المؤسسات الثقافية بمصر بشكل لم يعهد من قبل في أي عصر من العصور السابقة لعصرهم.

وفي القاهرة، بوصفها كبرى العواصم الإسلامية وأرفعها منزلة في زمن سلاطين الأيوبيين بوجه عام، لعبت دورا بارزا في إذكاء الحياة الثقافية، وبلا ريب أن هذا الدور المميز له ما يدعمه حضاريا.

وكان لعلماء **القاهرة** في العصر الأيوبي دورهم البارز سياسياً واقتصادياً واجتماعيا بعد أن تعمقت صلاتهم بجميع أفراد المجتمع القاهري من أصحاب الحرف وغيرهم من صناع وحرفيين وعوام كذلك.

وما يرتبط بموضوعنا المؤسسات الثقافية، فقد تعددت **بالقاهرة** من أنواع كثيرة، جوامع ومكاتب ومدارس وخوانق وربط وزوايا، والجدير بالذكر كان لكل منها دوره الثقافي الخاص، وعن دور المكاتب نزيد تفصيلاً.....

لقد **برز في الدولة الأيوبية** نوعان من المكاتب "العلمية والاجتماعية" يؤديان نفس المهمة المزدوجة"[٨٢]، الأول:خاص، بغرض التكسب والاحتراف، ويلتحق به كل راغب في التعليم من الأطفال بشرط دفع المصروفات المقررة إلي المؤدب أو الفقيه أو صاحب المكتب، والثاني: للأيتام أيتام وفقراء المسلمين بغرض التقرب إلي الله تعالى، حيث يتحمل المنشئ كافة نفقات التعليم منذ دخولهم المكتب إلي أن يتخرجوا، وهذا النوع الأخير كان الأكثر شيوعا لكثرة المنشئين من المحسنين[٨٣]، وفي قول آخر **المكاتب نوعان هما:** عام مجاني[٨٤]، والثاني:خاص غير مجاني يتولاه أهل البر من العلماء والنخب

الاجتماعية الأخرى.[٨٥]

وفي هذا المكتب يبدأ المتعلم بتعلم القرآن الكريم مع اللغة العربية، فهي اللغة التي أنزل بها كتابه، وبها بلغ الرسول(ﷺ) سنته الشريفة، وبالتحديد يطالب بحفظ قصار سور القران الكريم، وبعض الأحاديث النبوية والعقيدة بصورة مبسطة **والآداب الدينية** من طيب الكلام، ومبادئ الحساب والقراءة والكتابة وتجويد الخط، وبعض الأشعار، ومن كان عمره فوق سبع سنوات أمره المؤدب بالصلاة[٨٦]، وكذلك، يجب عليه أيضا أن يحفظ ما يستطيع من الأخبار والمغازي والسير وآثار الخلفاء الراشدين، كما كان لابد من الرياضة والرماية والرماحة والفروسية والسباق.[٨٧]

لقد **تنافس أعيان المجتمع** من الواقفين على تقديم أفضل العطاءات لمن تولوا مهمة التدريس إيمانا منهم أن مكانة المؤسسة الثقافية مرتبطة بكفاءة المدرسين وتميزهم، كما قام الواقفون بتمويل المتطلبات الأخرى لهذه المكاتب كصرف إعانات للطلاب والمشرفين على تلك المؤسسات، وشجعوا على تفوق الطلاب المترددين أو المقيمين في مكاتبهم، بمنح الأعطية الجزيلة، والمال كنوع من المكافاءة على النجاح، وكذلك إقامة الاحتفالات تكريما للناجحين والمتفوقين في دراستهم.[٨٨]

وختاماً،، بهذه الروح العلمية الجيدة الممثلة في بذل عطاء المنفق"صاحب المكتب"، والمربي، والتزام الطالب، يتخرج في النهاية عناصر طيبة مفيدة لذاتها، وللمجتمع القاهري الذي تعيش فيه، حيث تستطيع تقديم الجهد والعطاء له ولأبنائه، وذلك لأن كل المقدمون للعطاء "مادياً وأدبياً"، قد أدركوا قيمة العنصر البشري كأفضل استثمار يعود على المجتمع بالخير والفائدة، وهو ما عبر عنه ابن جماعة في قوله:"لو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وهديه و إرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى".[٨٩]

(*)- نماذج مكاتب الأيتام في القاهرة:

غلب الطابع العسكري علي دولة سلاطين بني أيوب، إلا أن السلاطين كلما أتيحت لهم الفرصة سعوا للبناء والعمران، ورغم قلة ما وجدناه إلا أنني

أثرت ذكر المدارس التي الحق بها مكتب للأيتام، وأعرض له وفقاً **لترتيب هجائي**، على النحو التالي:

المدارس الملحق بها مكتب للأيتام:

الخروبية:

مدرسة علي شاطئ النيل من بناء عادي، وبجوارها مكتب سبيل، وقف عليها أوقاف(٩٠).

المدرسة الفاضلية:

من مدارس القاهرة، من بناء **القاضي الفاضل** عبد الرحيم بن علي البيساني بجوار داره سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، كانت وقفا علي الشافعية والمالكية معا، كان بها مكتب برسم الأيتام استمرت لفترة طويلة في العصر الأيوبي وبعده في المملوكي الأول، وفي أزمة عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م وقع الغلاء لدرجة بيع الكتب التي بها، وتلاشت لخراب ما حولها في عصر المقريزي(٩١).

الفخرية:

من مدارس القاهرة، عمرها الأمير الكبير فخر الدين ابو الفتح عثمان بن قزل البارومي استادار الملك السلطان الكامل محمد بن العادل الأيوبي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، وهو المتوفي عام٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م، وكان موضعها فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس، وفي تجاهها أقام مسجد وإلي جانبه **رباط**، ورباط بالقرافة(٩٢) **وكتاب سبيل**(٩٣).

مدرسة المحلي:

من بناء **رئيس التجار**، تقع علي شاطئ النيل، في ظاهر مدينة مصر، وهو المتوفي عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، وبجوارها مكتب سبيل للأيتام، عليها وقف، وليس بها درس ولا طلبة(٩٤).

هكذا،،، وجدت المكاتب في القاهرة في العصر الأيوبي، بوجه عام، ومكاتب الأيتام بوجه خاص، كواحدة من أهم دور العلم ومؤسسة اجتماعية قائمة برعاية الأيتام رعاية اجتماعية وثقافية في آن واحد.

نتائج الدراسة:

- حرص المجتمع الأيوبي دولة وأفراداً على الاهتمام بكفالة اليتيم في كافة أرجاء السلطنة الأيوبية.
- مثلت مكاتب الأيتام نوعا مميزاً وأولياً كمؤسسة من المؤسسات الثقافية التي شاركت في الرواج الثقافي لمصر والقاهرة على وجه التحديد.
- مثل العلماء وكافة أفرادها وكبار التجار أهم فئات الأعيان في القاهرة مشاركة وإسهاما في كفالة اليتيم.
- تعددت أوجه الكفالة وتبلورت في الدعم المادي وحبس الأوقاف الخيرية، وبناء المكاتب كمؤسسات علمية واجتماعية.
- مثل الدافع الديني أهم دوافع أعيان المجتمع نحو كفالة اليتيم، حيث جاء هذا العمل من منطلق ديني بحت هو كسب رضا الله.
- ارتبطت نشأة المكاتب بأكثر من موضع، فكانت إما مفردة أو ملحقة بإحدى مؤسسات العلم الأخرى كالجوامع والمدارس والخانقاوات وغيرها.
- خضع العمل في داخل مكاتب الأيتام لنظام محدد، وتعدد القائمون بالعمل فيها ما بين مربون ومساعدوهم، وعاملون إداريون لخدمة المكتب وصغاره.
- امتاز العمل في مكاتب الأيتام بانتظامه وفق ضوابط وقواعد محددة.
- كثر محبو الخير من أعيان المجتمع مما ترتب عليه الإكثار من بناء مكاتب الصغار، والأيتام بوجه خاص في القاهرة زمن الأيوبيين و المماليك.
- ساهمت المكاتب بوجه عام، ومكاتب الأيتام بوجه خاص في الإسهام العلمي للرواج الثقافي في القاهرة ومصر في العصر الأيوبي.

هوامش الدراسة:

(*) حديث نبوي شريف، رواه سهل بن سعد، أخرجه مسلم– كتاب الزهد والرقائق– باب الإحسان إلي الأرملة والمسكين واليتيم، برقم (٢٩٨٣).

(١) **تجد** أمثلة كثيرة على ذلك في سور عدة من الذكر الحكيم مثال : البقرة" الآية ١٧٧"؛ الكهف " ا لآية "٨٢؛ الإنسان "االآية ٨"؛ االبلد "الآيتان ١٥–١٦"؛ الضحى " الآية ١٧".

(٢) **خير مثال** على ذلك، ما أوردناه في مقدمة هذه الدراسة من حديث نبوي شريف.

(٣) **القلقشندي**، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)،صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٠٣م، ص٢٥.

(٤) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٦٩.

(٥) حديث شريف : رواه أبو داود، وصححه الألباني، وبوَّب عليه أبو داود :باب ما جاء متى ينقطع اليتم.

(٦) **الإمام الشافعي:** ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي.

(٧) الرازي(أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي،(ت٣٢٧هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص٧٢.

(٨) **ثورة الجند السودان:** ثورة قام بها مجموعة من الجند السودان بلغ عددهم نحو ٥٠ ألف ضد صلاح الدين الأيوبي في محاولة للتخلص منه، لكنه وجههم وقضي عل ثورتهم وانتهي به الأمر بحرقهم وإشعال النار فيهم ؛(محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٤).

(٩) **مؤتمن الخلافة:** اسم لخصي نوبي استطاع أن يصل إلي رئاسة بلاط قصر الخليفة الفاطمي **العاضد** قبيل مجيء صلاح الدين إلي مصر، ولما تمكن صلاح الدين من الوصول للوزارة المصري وزادت وطأته علي أهل القصر، دبر المؤامرة للتخلص من صلاح الدين الذي بادر بقتله في ٢٠ أغسطس سنة ١١٦٩م /٥٦٤هـ؛(محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ص١٤–١٥).

(١٠) **عمارة اليمني:** هو عمارة بن ابو الحسن اليمني، وكان معه عدد من الشخصيات من أتباع الدولة الفاطمية في محاولة منهم للقضاء عل صلاح الدين في مؤامرة كبري لكنها كسفت فتخلص منهم صلاح الدين؛(محمد عادل عبد العزيز، تاريخ الأيوبيين

والمماليك، ص ص ٢٢-٢٦).

(١١) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، بدون، ٢٠١٦م.ص٣٥.

(١٢) لم تسعفنا المصادر بشيء عنها، ولعلها احدي قري دمشق المندثرة.

(١٣) **الرباط:** لفظ يقصد به مكان تجمع المجاهدين المتطوعين لقتال العدو عل الحدود، وخلال العصر الأيوبي أصبح المكان ليتفرغ فيه للعبادة وزاوية اسلامية محصنة ودار لسكن أهل الطرق الصوفية؛(محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩٠م، ص٨١).

(١٤) **جدير بالذكر** أن الخليفة الأموي **الوليد بن عبد الملك** (٨٦-٩٠هـ/٧٠٥-٧٠٨م) صاحب فكرة إنشاء مراكز رعاية الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة، حيث أنشا عام ٨٨هـ/٧٠٧هـ، مؤسسة متخصصة في رعايتهم، وظف فيها الأطباء والخدام، وأجرى لهم الرواتب، ومنح راتبا دوريا لهم، وقال لهم :" لا تسألوا الناس" وبذلك **أغناهم** عن سؤال الناس، فكان الأول واحتذى به من جاء بعده من حكام.

(١٥) أحمد حطيط، قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري" ٦٤٨-٩٢٣هـ"، دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ٢١٤.

(١٦) **دون مبالغة،** يرجع إ ليها الفضل في بقائه " التعليم "بوجه عام"،واستمراره قروناً طويلة، وفي انتظام الحياة العلمية به.

(١٧) إلى جانب مجانية التعليم تصرف للطلاب رواتب تعينهم علي المعيشة؛(علي محمد مختار،دور المسجد في الإسلام، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، العدد١٩٨١،١٤م/ ١٤٠٢هـ، ص ٧٠).

(١٨) عيسى القدومي، روائع أوقاف المسلمين"كفالة الأيتام ورعايتهم"، ص ٤.

(١٩) عادل عبد الحافظ حمزة،نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك"٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٩٧.

(٢٠) **الناظر** : لقب لصاحب وظيفة يماثل في عصرنا الحالي المدير العام.

(٢١) شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٨٨.

(٢٢) وثيقة السلطان حسن، أوقاف ١٠٣١، وثيقة الجمالي يوسف؛ محكمة ١٠٥؛ وثيقة برسباي، أوقاف ٨٨٠، ٨٨١، محكمة ٦٦، وثيقة قايتباي، أوقاف ٨٨٥، ص ٣٠٨ في ظاهرية دمشق.

(٢٣) عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب، ص ١٩٥.

(٢٤) ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،سوريا،١٩٨٠م، ص ١٢٥.

(٢٥) عبد اللطيف إبراهيم، نصان من وثيقة الأمير صرغتمش، ص ١٥٣.

(٢٦) حجة السلطان قايتباي رقم ٨٨٦، ٨٨٨- أوقاف مصر.

(٢٧) **بوجه عام** كان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة شهريا أو سنويا نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العمل بمؤسسة العلم، حيث تدفع منه رواتب أرباب الوظائف وإعانات الطلاب حسب شروط الواقف ؛(محمد محمد أمين، تاريخ الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، ج١، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٥٩؛ ٢٥٤).

(٢٨) النعيمي،(عبد القادر بن محمد،ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج.م.ع، بدون تاريخ، الطبعة الثانية، ص٥٦٤.

(٢٩) **جدير بالذكر** أن هذه الشروط ارتبطت كذلك بطلاب العلم في المدارس والتي تمثل المرحلة التالية لدور المكاتب، وللمزيد عنه **راجع** : حجة السلطان المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨اوقاف، محفظة٣٥، ظاهرية دمشق، ورقة ٣، ٤؛ وثيقة الأمير سيباي في ظاهرية دمشق، رقم (٢/١٥١- مدارس) ورقة١٦.

(30) Sobernheim, CIA, Syria du Nord, pp 212-213,no.4.

(٣١)ابن النديم،(أبو الفرج محمد بن اسحاق، ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م)، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج.م.ع، ١٣٣٨هـ/١٩١٩م، ص ٦١.

(٣٢) ابن الحاج،(محمد بن محمد، أبو عبد الله العبدري،ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، المدخل، ج٢، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٢٩م، ص٣١٣؛ ابن المبرد،(يوسف بن حسن بن عبد الهادي،ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)الحسبة، طوبقابو، تركيا رقم ٢٨٢٣، وقد نشرت مجلة المشرق اللبنانية مقتطفات في العدد ٣٨٤/١٣ في عام ١٩٣٧م، ورقة ٦١.

(٣٣) **الخوانق:** لفظ جمع، مفرده **الخانقاه** ويقصد به بيت الصوفية؛ للمزيد راجع ابن تغري بردي،(أبو المحاسن جمال الدين يوسف ،ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٢٩-١٩٥٢م، ص١٢١.

(٣٤) المقريزي،(تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج٢، تحقيق د/محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م،

(٣٥) وهو ما وضح لنا من خلال ثبت دور ومكاتب الأيتام ومنشئوها والذي سأعرض له

في نهاية هذه الدراسة.

(٣٦) السخاوي، عالم ومؤرخ شهير ذاع صيته في العصر المملوكي، توفى عام ٩٢٠هـ/١٥١٣م؛(شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون" دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ص ١٧٧-١٨٢).

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، العالم والمحدث والمؤرخ أيضا للمزيد عنه راجع؛(شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون" دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ص ١٥٢-١٦٦).

(٣٨) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت٩٢٠هـ/١٥١٣م)، الذيل على رفع الأصر ،تحقيق د. جودة هلال، مراجعة أ.علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج.م.ع،٢٠٠٠م، ص٧٦.

(٣٩) الغوري السلطان المملوكي، السادس والعشرين من ملوك وسلاطين الجراكسة في مصر والشام، حكم في الفترة من (٩٠٧-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م).

(٤٠) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص٢٧٢؛ النعيمي، مخطوط العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، النسخة التمبورية، رقم ٢١٩٣ تاريخ، ورقة١١٩.

(٤١) وثيقة وقف الأسعردية في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ٤٠١/٣٣، ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص ١٢٥.

(٤٢) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص ١٢٥.

(٤٣)حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٩٦م، ص ٧٣١.

(٤٤) وثيقة وقف الأسعردية، مجلة المجمع العلمي بدمشق، ٤٠١/٣٣، ٥٨٨.

(٤٥) **البشوت**:لفظ جمع مفرده بشت، وهو كساء من صوف غليظ النسيج يرتديه أهل الريف وأهل البادية بالشام خاصة في فصل الشتاء؛(إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة،١٩٨٩م، ص٥٧).

(٤٦) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ص ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٤٧) لم أقف على معنى يفسر هذا المصطلح ولعل المقصود منه عرض الأيتام على الطبيب للكشف عمن بلغ من الصبيان الأيتام مبلغ الرجال وذلك باختبار تنزيل منبه، فيعزل عن بقية الصبيان بتركه المكتب بالضرورة.

(٤٨) أحمد حطيط، قضايا تاريخية، ص ٢٣٩.

(٤٩) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة، ج.م.ع،١٩٧٨م، ص ٥٨.

(٥٠) وهي القرآن الكريم،وجانب من الأحاديث النبوية،فضلاً عن مبادئ القراءة والكتابة وبعض الشعر والنحو والقواعد الأساسية لعلم الحساب؛(محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٨٢م، ص ٣٦٠).

(٥١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢، ص ٤٧٢.

(٥٢) أحمد حطيط، قضايا تاريخية، ص ٢٢٢.

(٥٣) ابن دقماق،(صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر، ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ق١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ١٨٩٣م، ص٩٧؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م ، ص١٦٨.

(٥٤) الماوردي، القاضي أبو الحسن،(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٣م، ، ص ١٧١.

(٥٥) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مج١، دار الشعب، القاهرة، ج.م.ع، بدون تاريخ، ص ٥٢٣.

(٥٦) ابن طولون،مخطوط نقد الطالب لزغل المناصب،مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا، رقم ٥٧١٣، آداب، ورقة ٢٩؛ عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية، ج١، ، ص ١٤٧.

(٥٧) عبد اللطيف إبراهيم، نصان من وثيقة الأمير سيباي في ظاهرية دمشق برقم (٢/١٥١- مدارس) ورقة ١٣، ١٤.

(٥٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٤؛ السبكي،(تاج الدين عبد الوهاب بن علي،ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٤٨م، ص ١٠٨.

(٥٩) السبكي، نفسه والصفحة.

(61)Sauvaire, Descr. De Damas, JA, 1896, I.PP 272-273.

(٦١) وثيقة السلطان الغوري رقم ٨٨٣- أوقاف، دمشق.

(٦٢) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦- أوقاف دمشق.

(٦٣) وثيقة وقف الأسعردية في مجلة المجمع العلمي بدمشق، ٣٣/٥٨٨،٤٠١.

(٦٤) ابن جماعة، (الإمام بدر الدين،(ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ص ٨١.

(٦٥) نفس المصدر، ص ٨٧.

(٦٦) الذهبي،(شمس الدين محمد بن أحمد، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،تاريخ الإسلام، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٧٣.

(٦٧) عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٦٨) الهيتمي، (أحمد بن محمد، ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م،

(٦٩) الشيزري، (عبد الرحمن بن نصر بن عبدالله العدوي، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد المزيدي، بدون تاريخ، ص ١٠٤؛ ابن الأخوة، (محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي، ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م)، معالم القربة في أحكام الحسبة،عني بتصحيحه روبن ليوي، مطبعة دار الفنون،كمبريدج، ١٩٣٧م، ص ٢٦١.

(٧٠) نفسه والصفحة.

(٧١) الهيتمي، تحرير المقال، ص٧٩.

(٧٢) نفسه.

(٧٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٦١.

(٧٤) ابن المبرد، مخطوط الحسبة، ورقة٦٢.

(٧٥) ابن خلدون،(ولي الدين عبد الرحمن بن محمد،ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، طبعة الشعب، القاهرة، ج.م.ع، ص ١٩٥.

(٧٦) **المحتسب:** صاحب وظيفة تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراعاة الآداب العامة والإشراف علي الأسواق وآداب الطريق ومراعاة آداب السلوك؛(ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، القاهرة، ص ص ٥-١٠).

(٧٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بم محبوب بن فزازة،(ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) البيان والتبيان، ج١، بدون، ص ٢١٥.

(٧٨) عبد الرحمن ابن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج٢، بدون تاريخ، ص ٩٤.

(٧٩) نفسه والصفحة.

(٨٠) ابن طولون،مخطوط نقد المطالب، ورقة ٧٦.

(٨١) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٠٥-١٠٦؛ **والمعلوم** هو الراتب الثابت؛

(محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٨٣م.

(٨٢) أحمدحطيط، قضايا تاريخية، ص ٢٢١.

(٨٣) البرزالي،(علم الدين البرزالي،ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، التاريخ المسمى بالمقتفي، ج١، طوبقابو، استانبول، رقم ٢٩٥١، ورقة١٨.

(٨٤) وهذا النوع من المكاتب تتولاه الدولة، بحيث تشرف عليه من خلال المحتسب وقاضي القضاة وشيخ الشيوخ،ولها أوقاف تغطي نفقاتها؛ (أحمدحطيط، قضايا تاريخية، ص ٢٢١).

(٨٥) نفس المرجع، ص٢١٥.

(٨٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٦١.

(٨٧) الماوردي، نصيحة الملوك، ص ١٦٨، ١٧١.

(٨٨) ابن طوق، (عبد الوهاب بن علي بن نصر بن طوق الثعلبي البغدادي، ت٤٢٢هـ/١٠٣١م) يوميات ابن طوق، ج٣، ص ١١٩٦.

(٨٩) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص ٦٣.

(٩٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص٤٤٨.

(٩١) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ص٤٤٤.

(٩٢) **القرافة:** لعل المقصود القرافة الكبري التي كانت في شرقي مدينة مصر بجوار المساكن، وصار مكانها أرض فضاء لا بناء فيها بين مصر القديمة وجبانة الإمام الشافعي؛(البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م، ج٣، ص ٧٢).

(٩٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص٤٤٨.

(٩٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ص

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

ابن طولون، مخطوط نقد الطالب لزغل المناصب،مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا، رقم ٥٧١٣، آداب.

النعيمي، مخطوط العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان، النسخة التيورية، رقم ٢١٩٣ تاريخ.

ثانياً: المصادر العربية:

ابن الأخوة، (محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي، ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م)، معالم القربة في أحكام الحسبة،عني بتصحيحه روبن ليوي، مطبعة دار الفنون،كمبريدج، ١٩٣٧م.

ابن الحاج، (محمد بن محمد، ابو عبد الله العبدري،ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، المدخل، ج٢، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٢٩م.

ابن العماد، (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي،ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ١٩٩١م..

ابن المبرد، (يوسف بن حسن بن عبد الهادي،ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)الحسبة، طوبقابو، تركيا رقم ٢٨٢٣، وقد نشرت مجلة المشرق اللبنانية ، مقتطفات في العدد ٣٨٤/١٣ في عام ١٩٣٧م.

ابن النديم، (أبو الفرج محمد بن اسحاق، ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م)، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج.م.ع.

ابن تغري بردي، (أبو المحاسن جمال الدين يوسف ،ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٢٩-١٩٥٢م.

ابن تيمية، ابو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الرحيم ،(ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) الحسبة في الإسلام، وظيفة الحومة الإسلامية، تحقيق السيخ إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن جماعة، (الإمام بدر الدين،(ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة.

ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، تحقيق حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م،

ابن خلدون، (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد،ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، طبعة الشعب، القاهرة، ج.م.ع.

ابن دقماق، (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر، ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ق١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ١٨٩٣م.

ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم،(ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، فيسبادن، ١٩٨٣م.

ابن شداد، سيرة صلاح الدين الأيوبي: المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، بدون، ٢٠١٦م.

ابن طوق، (عبد الوهاب بن علي بن نصر بن طوق الثعلبي البغدادي،ت٤٢٢هـ/١٠٣١م) يوميات ابن طوق، ج٣.

ابن طولون،

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،سوريا،١٩٨٠م.
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" تاريخ مصر والشام)، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ج.م.ع.

ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بن أحمد،ت٨٥١هـ/١٤٤٦م)، مخطوط ذيل تاريخ الإسلام، النسخة التيمورية، رقم٢٤٠٢، تاريخ، ورقة ٥٩، ٢٥٤؛ ابن طولون، ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر،مخطوط دار الكتب المصرية، رقم ١٤٢٢ تاريخ، ورقة١٦.

ابن كثير، (عماد الدين اسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية،ج١٣، تحقيق أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، الطبعة الثالثة، ص ٣٧٢.

البرزالي، (علم الدين البرزالي،ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، التاريخ المسمى بالمقتفي، ج١، طوبقابو، استانبول، رقم ٢٩٥١، ورقة١٨.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٤م،

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بم محبوب بن فزازة،(ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) البيان والتبيان، ج١، بدون.

الذهبي،(شمس الدين محمد بن أحمد، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،تاريخ الإسلام، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

الرازي (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي،(ت٣٢٧هـ)، آداب الشافعي ومناقبه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

السبكي، (تاج الدين عبد الوهاب بن علي،ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٤٨م.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت٩٢٠هـ/١٥١٣م)، الذيل على رفع الأصر، تحقيق د.جودة هلال، مراجعة أ.علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج.م.ع،٢٠٠٠م.

الشيزري،(عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي، ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن إسماعيل، أحمد المزيدي، بدون تاريخ.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان،١٩٩٨م، ص ٥٠٧.

الغزي، (نجم الدين ابو المكارم محمد بن محمد،ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٠٣م.

الماوردي، القاضي أبو الحسن،(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٣م.

المرادي، (محمد خليل بن علي،(ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٧م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٣، دار البشائر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

المقريزي، (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج٢، تحقيق د/محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

النعيمي، (عبد القادر بن محمد،ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج.م.ع، بدون تاريخ، الطبعة الثانية.

الهيتمي، (أحمد بن محمد،ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

ثـانياً: المراجع العربية :

إبراهيم زكي خورشيد (مترجم) وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مج١، دار الشعب، القاهرة، ج.م.ع، بدون تاريخ.

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة،١٩٨٩م.

أحمد حطيط، قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري" ٦٤٨-٩٢٣هـ"،

دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

أحمد خالد جيدة، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، **بدزن**.

أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة، ج.م.ع،١٩٧٨م.

أسماء رمضان الشيخ خليل، وقف المرأة في لواء دمشق في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، سوريا، بدون تاريخ.

أكرم حسن العلبي ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة، دمشق، سوريا، ١٩٨٢م، ص ١٦٤.

ـــــــــــــ، خطط دمشق"دراسة تاريخية"، دار الطباع، دمشق، ١٩٨٩م، ص ٧٢.

حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الآثرية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م ، ص١٦٨.

شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون" دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،١٩٩٠م.

شعبان عبد العزيز خليفة، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م.

عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك"٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م"، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

عبد الرحمن ابن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج٢، بدون تاريخ.

عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ١٩٧٧م.

عبد القادر ابن بدران، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، دار البشائر، دمشق، سوريا، بدون تاريخ.

عبد اللطيف إبراهيم نصان من وثيقة الأمير صرغتمش، بدون.

ـــــــــــــ ، دراسات تاريخية وأثرية، القاهرة، د.ت.

علي محمد مختار، دور المسجد في الإسلام، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، العدد١٤،١٩٨١م/ ١٤٠٢هـ.

عيسى القدومي، روائع أوقاف المسلمين"كفالة الأيتام ورعايتهم"، بحث منشور، شبكة التواصل الإجتماعي" الانترنت".

محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩٠م.

محمد أديب تقي الدين الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، ج٣، المطبعة الحديثة، دمشق، سوريا، ١٩٣٤م.

محمد البشرلي، أوقاف الملاك المسلمين في فلسطين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٢م.

محمد عادل عبدالعزيز، تاريخ الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ٢٠٠٨م.

محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٨٢م.

محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج.م.ع، ١٩٨٣م.

محمد كرد علي، خطط الشام، مطبعة الترقي،دمشق، سوريا، ١٩٢٧م.

محمد محمد أمين، تاريخ الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، ج١، القاهرة، ١٩٧٢م.

محمد مطيع الحافظ، صورة عن التعليم والحالة العلمية في دمشق آخر العهد المملوكي، بحث مقدم إلى مؤتمر: نحو مغاربة نظام التعليم في شرقي المتوسط بين العصر المملوكي والعثماني، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٨م.

منير كيال، يا شام، في التراث الشعبي الدمشقي، دمشق، سوريا، ١٩٨٤م.

الوثائق:

حجة السلطان المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨اوقاف، محفظة٣٥، ظاهرية دمشق، ورقة ٣، ٤؛

سجل دمشق، الشرعي، رقم ١٨، وثيقة١٢٢، ص٢٣٢، ١٢ رجب ١١٠١هـ/أبريل ١٦٩٠م.

وثيقة الأمير سيباي في ظاهرية دمشق، رقم (٢/١٥١- مدارس) ورقة١٦.